جماليات اللغة وتعددها
في رو اية الفيل الأزرق لأحمد مراد
The language esthetics and its diversity
in Ahmed Mourad's "Alfil al Azraq" novel.

أ/ميهوبي خديجة
جامعة عمارثليجي الأغواط - الأغواط(الجز ئر)

الملخص:

تعتبر اللغة وسيلة اجتماعية تواصلية، وعلامة سيميائية دالة تمكن أفراد المجتمع من التواصل على الرغم من الاختلاف والتنوع الذي تتميز به فهي وسيلة للتفاهم، وهذا التواصليكون إما شفويا أو كتابيا من خلال النصوص المكتوبة الأدبية كانت أو غير الأدبية،فاللغة في الأدب هي الأداة الأساسية لتعبير عنه، مثلما للفنون الأخرى أدواتها كالموسيقى والرسم ...إلخ فهي حيلته وجوهره التي تحقق للأدب أدبيته وتبرز جماليته،هي الوسيلة الوحيدة المتاحة والمتوفرة للمبدع لتعبير عن ما ينتابه من أفكار ويخالجه من أحاسيس ومشاعر وهواجس، بها ينسج وعليها يقوم، فهي ذات أهمية كبيرة، ولهذا سنحاول دراستها والكشف عن جمالياتها وتعددها في رواية الفيل الأزرق.

الكلمات المفتاحية: اللغة ، التعددية ، الجمالية، الرواية، الفيل الأزرق .

Abstract:

Language is a communicative sociological mean, and meaningful semiological sign that enables members of society to communicate despite the difference and diversity that it has, since it is a mean of understanding. This communication is either oral or written through literary or non-literary texts .Because the language in literature is the main tool for its expression, just like other arts have their own tools such as music, painting, etc. It is its artifice and its essence that achieves the literary of literature and highlights its beauty. The language is the only available way for innovators to express their thoughts, feelings and concerns, it is of great importance, so we will try to study it and reveal its beauty and diversity in "Alfil al Azraq" novel.

Keywords: Language- Diversity- Esthetics- Novel, Alfil al Azraq.

اللغة الحجر الأساسي في بناء أجناس الأدب، والتي منها الرواية التي تعد أهم مكوناتها باعتبارها جنس أدبي لغوي فني بامتياز، وهي على المستوى الداخلي للنص الروائي «أهم ما ينهض عليه بناؤه الفني، فالشخصية تستعمل اللغة، أو توصف بها، أو توصف، هي، بها، مثلها مثل المكان أو الحيز، والزمان والحدث... فما كان ليكون وجود لهذه العناصر أو المشكلات، في العمل الروائي لولا اللغة»[1]، جميع عناصر الرواية دون استثناء ترسم وتشخص من خلال اللغة وبواسطتها، كما أنها تقوم بـ «تثبيت مفردات الدلالة وبناء هيكل المعنى للنص، وتنظيم عمليات السرد الأخرى أي دون أن يصل من التبلور والكثافة والتشيوء إلى الدرجة التي تحتل بها محل عناصر السرد الأخرى أي دون أن تصبح الكلمة المتوهجة في منطلق الطاقة التصويرية ومناط الإبداع»[2].

اللغة مجسدة لحضورها تعمل على تلاحم النص الروائي وترابطه وانسجامه، فالرواية تثبت وجودها المادي المحسوس من خلال اللغة، وتختلف اللغة المستعملة من رواية إلى أخرى، فلكل كاتب خصائص ومميزات لغوية تميزه عن غيره، وهذا من خلال توظيفهلثروته اللغوية والمعرفية كون لغة الرواية «هي نظام لغات تشير إحداها للأخرى حواريا، ولا يجوز وصفها ولا تحليلها باعتبارها لغة واحدة ووحيدة. وعلى هذا فإن الأشكال اللغوية والأسلوبية المختلفة تعود إلى نظم مختلفة في لغة الرواية»[3].

كما أن اللغة هي التي تكشف عن جمالية المتن الروائي، بوصفها أداة التعبير وأساس الرسالة التي يقوم بإرسالها المبدع إلى المتلقي من خلال تعابير محملة بشحنات وعلامات سيميائية فكرية وأدبية وشفرات غير مباشرة من خلال جمل سردية ووصفية وبلاغية وأساليب إنزياحية ورموز ...إلخ فيصور بها الروائي عالمه المليء بعناصر المتعة والتشويق والمعرفة، فكيف كانت اللغة في رواية الفيل الأزرق؟ وفيما تمثلت تعدديتها؟

1/التعريف برو اية الفيل الأزرق: عرفت رواية الفيل الأزرق للروائي أحمد مراد نجاح كبير، و حصدت أعلى المبيعات، واستطاعت أن تصل لجائزة البوكر سنة 2013، تدور أحداثها حول قضية قتل لزوجة صديق بطل الرواية، وإتهام الزوج بقتلها، لكن الحقيقة هي مختلفة تماما، فالقاتل هو من عالم آخر- من الجن- سيطر على جسم الزوج، والذي أتاه من خلال السحر – وشم/ طلسم، فالبطل يحي يكشف الحقيقة من خلال رحالات يقوم بها عن طريق حبوب الفيل الأزرق، فيعود إلى الزمن الماضي لينبشه ويعرف الحقيقة منه، فالرواية ذات طابع عجائبي محض.

ساهمت اللغة بصفة كبيرة على إبراز جمالية الرواية، ولعبت دورا مهما في نجاحها، فكانت لغتها منفتحة، ومتعددة، فسيفساء متنوعة نجد فيها اللغة الدينية، لغة السحر، اللغة الفصحى، اللغة العامية، اللغة العلمية...إلخ

1/ اللغة الدينية: نعني بها توظيف لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، احتوت الرواية على مجموعة من الاقتباسات القرآنية المحورة، والتي أسهمت بوصفها عنصرا رافدا في تشكيل الفضاء اللغوي وأفضت عليه جمالية ففي قوله:

«الانصياع لرأي أخيها.. وأمها وأبيها.. وصاحبتها.. وقبيلتها التي تئويها !»[4]،تحيل لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(35)﴾ (سورة عبس، الآية 34 إلى الآية 35).

«أحللت لنفسي الخمر والنساء والقمار والقناطير المقنطرة من الحشيش والكمياء المقدسة»[5] تحيل لقوله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(سورة آل عمران، الآية 14).

في قوليه «صفراء فاقع لونها لا تسر الناظرين»[6]تحيل لقوله تعالى:﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة، الآية 69).

الاقتباس من الحديث النبوي الشريف جاء نادرا مقارنة باقتباس من القرآن الكريم، في قول السارد «الزواج نصف اكفر !»[7]مقتبس من قول الرسول عليه الصلاة والسلام «الزواج نصف الدين».

الآية القرآنية الوحيدة التي تتضمنها الرواية ووظفتها مباشرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة، الآية169)

الملاحظ من توظيف النص الروائي لنص الديني لم يكن بهدف الاستشهاد أو الوعظ أو الإرشاد أو استحضار الوازع الديني، لا بل على العكس فلقد وظف النص الديني لما يحمله من بلاغة وابتكار ليولد من خلاله دلالة جديدة ترتبط بأحداث الرواية وبالواقع ويعكس من خلالها حالة الفراغ الروحي التي يتخبط فيها البطل (يحيى)/ السارد، فولد جمالية استمدها من التركيب القرآني البليغ.

2/ لغة السحر:الكتابة العجائبية تمتاز بكونها «مغامرة واستجلاء للبقايا والهوامش والمقصي من كينونتها المحاصرة بضغط القوانين والمحرمات وشتى أنواع الرقابة»[8]، فهو ليس تقليدا للموجودات وأفعالها الحياتية، ومدام أن اللغة هي التي تتشكل بها، فهي تحتاج لغة تختلف باختلاف طبيعته يخترق بها الطبيعي وتبحر في اللامعقول.

فنجد أن المؤلف وظف **لغة السحر** لتأصيل لفكرته والتدليل عليها والإقناع بصحتها فأعتمد على الكلمة؛ التي هي وسيلته الأولى كما هو شائع «فالتعزيمة أو القسم جبر القوى الخفية على أن تطيع الإنسان، وهذا فرجيل يقول إنه من المستطاع أن تلقي تعزيمة على القمر فتجبره على أن ينزل من السماء»[9].

يستدل السارد بهذه التعزيمات عن طريق كتاب السحر المعنون بـ (أبواب وأغراض) ليجد فيه «العناوين كانت صادمة ((باب محبة وجلب وتهيج))، ((باب التهيج ونزيف))، ((زيارجة الأرقام))، ((باب لتفرقة الأحباب)) فتحته فضولا فقرأت: ((يؤتى بثلاث نوايا بلح، يوم الأربعاء ساعة زحل، يكتب على الأولى ((آدم وإبليس)) والثانية ((إبراهيم والنمرود))، والثالثة ((موسى وفرعون))، وتقول على كل واحة ((وحيل بينهم وبين ما يشتهون)) و تدفنهم في أي مكان بشرط أن يمر عليه المعمول له العمل !!))»[10]

يوظف هذه اللغة في الكشف عن طلسم النكاح/ الوشم وعزيمته «غربلت الفهرس حتى التقطت عيناي باب ((استحضار و تسليط العاشق النكاح))، فتحت صفحة فرأيت الوشم الذي رأيته على فخذ بسمة وزوجة المأمون ولبنى !!مكتوبا تحته:

هذا ورب الأرباب أخطر أنواع التسليط على الإنس فافهم، هو استحضار لعارض سفلي عن طريق رسم طلسمه ومناداته بعزيمته التي تسيطر عليه منذ عهد سليمان، فيأتي خادم الطلسم لينكح الأنثى المسلط عليها مدة شهر وعشر أيام، وحده، أو عن طريق الحلول في جسده يحبسه ويطمس حواسه ويغيبه، ولا يكاد يفقه شيئا مما يحدث حوله وإذا تكلم تلجم لسانه كالحمار ينهق، ولا يستطيع التحدث إلا عن طريق عزائم الأرقام وإلا هلك وأحس بالحرق يسري على جلده، تمر عليه الساعات والأيام ولا يدري بها كأنه ميت حي !(...)

العزيمة :

توكل يا خادم هذا الطلسم..

توكل بحق من خلقك من نار السموم ..

توكل بحق من أمرك أن تسجد لآدم فلم تستجب ..

توكل بحق الأسماء التي أنت لها طائع ..

أجب بحق ((كيفال، دنياث، شهيقالوسحقون))..

أنكح ((فلانة بنت فلانة)) ...

الواحاالواحا .. العجل العجل .. الساعة الساعة .. »[11]، وللبحث عن خلاص يقول السارد

«قلبت صفحات الكتاب بحثا عن تفاسير حين أوقفني فصل اسمه ((تكسير الحروف))
رأيت فيه جدولا بعدد الحروف الأبجدية والمقابل لها من الأرقام

أ	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠

ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	
٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	

ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

تكسير الحروف

هو نقل نافع لكشف بواطن حروف الكلام، ثم وضعها في مربعات متساوية الخانات تدعى الأوفاق، مربعات تملك قوة الفعل والتحريك والتأثير، عن طريق طاقة خفية نابعة من تسخير الجن، تستخدم في خدمة جميع الأغراض، عليها وسافلها، فكل شيء يتحرك في إطار نظام مدروس، ولا مجال للصدفة في الدنيا فافهم، كل رقم هو جزء من معادلة حسابية لها قوة خاصة تحمي من تعمل له أو تسحق من تعمل ضده، فكتابتها على شيء قد تعني الحفظ.. أو الهلاك..»[12]

جعل الروائي الخلاص من المس الذي أصاب (شريف) في السحر ذاته، ضاربا عرض الحائط بكل العلوم النفسية متجاهلا الطرق الدينية، مستندا على الفكر الشعبي ومعتقدات حول السحر والأرقام وقواها الخفية والحروف، علما أن للحروف سيميائية ودلالة كان قد تناولها **بن عربي** «اعلم – وفقنا الله وإياكم، أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون، وفيهم رسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف عن طريقنا – وعالم الحروف أفصح العالم لسانا، وأوضحه بيانا»[13].

إن توظيف لغة السحر أعطى للرواية جمالية متفردة، وتشويق وشد لإنتباه المتلقي، فكانت لغة متلائمة مع أحداث الرواية.

3/ اللغة الشعبية: وظفت الأغنية الشعبية بما يخدم سير الأحداث ويبرز التداخل الحاصل بين الواقع والخيال في قوله:

«الحي في حجره بيت ما رقد ..
عينه من قصتها وضي الحلق ..
الحي في حجره بيت لم ينم ..
...
عينه لرسمتها و لحق العسل »[14]

هذه الأغنية التي رددها (شريف) وهو في المستشفى يسمعها البطل في رحلته الأخيرة من رحلات **«الفيل الأزرق»** على لسان (سيدة الدار) والتي فيها إشارة إلى الوشم الموضوع، فهي تتوافق مع مواقف الشخوص وما يحدث لها من متغيرات، كما أن الأغنية الشعبية تنقلنا إلى فترات زمنية ماضية وتبرز من خلالها الوضعية الاجتماعية السائدة في تلك الحقبة

«الليل الليل يا قرد الليل .. أنا كان مالي يا قرد الليل..»[15]
«بالعدل رزقي و مال الناس .. با عمل عجين الفلاحة ..
و عشان تمامك يا سيد الناس .. نغرقك عز وراحة ..»[16].
وفي قوله
«مهما الزمان طول ..
لا تتجوز الأرملة ..
و لا اللتياتجوزت لأول ..
تاكل في خيرك ..
وتذكر جوزها الأول ..»[17]، تحمل هذه الأغنية الشعبية في طياتها نصيحة.

4/ اللغة الفصحى: كانت موظفة من خلال عمليتي السرد والوصف اللذان يستثمران اللغة ولا وجود لهما خارج مملكتها «فالسرد، من حيث هو لا يكون إلا باللغة !والوصف، من حيث هو، لا يكون إلا في اللغة»[18]، أما الوصف فهو «تمثيل الأشياء أو الحالات أو المواقف أو الأحداث في وجودها ووظيفتها، مكانيا لا زمانيا قد يحدد الراوي الموصوف في بداية الوصف ليسهل على القارئ الفهم أو المتابعة، أو يؤخر تحديده إلى نهاية الوصف ليخلق الانتظار والتشويق»[19]، فإذا كان الرسام يمتلك الريشة والألوان لرسم لوحاته الفنية فإن الوصف هي ريشة الروائي وألوانه وخطوطه التي من خلاله يرسم ملامح شخصياته وأبعاد أمكنته.

بسبب التلاحم بين الوصف والسرد والعلاقة الوطيدة التي تجمعهما فإن الفصل بينهما يكون صعبا، كان للغتهما الدور البارز في الكشف عن اللاواقع والمساهمة في خلقه، «السرد والوصف في المحكي الفانتاستيكي يشكلا فضاء للتفاعل، والعمل على تبئير التعجيب وإمداده بتقنيات صارمة لها مميزاتها وخصائصها»[20] فالوصف جاء مثلا لتعبير عن وصف الحالة النفسيةالصعبة لشخصية (يحي) «المريض يعاني من حالة انسحاب اجتماعي مصحوبة بتلبد في المشاعر يفقده الاهتمام بكل ما حولة ((باستثناء الكحول))، تلك مؤشرات واضحة لتضرر ممرات المخ العصبية، و هو الذي قد يؤدي لسماع أصوات و اختلاق مواقف، وبالتالي فالأرجح حدوث حالة فصام مصحوبة بهلوسة، تمت إثارتها بحبوب ((DMT))»[21]

واصفا ما عنته (زوجة المأمون) «نظرت فرأيتها في ركن فوق رأسي، مقلوبة عارية، بطنها منتفخ ملتصق بالجدار وساقاها منفرجتان تجاه السقف الخشبي، ترتجان كأنهما قربة يفصل فيها الدهن عن اللبن، وجهها يحتك بأحجار الحائط وشعرها الطويل يتماوج كبندول ساعة ناحية الأرض يمسح الحائط، غائبة عن الوعي مرتخية كخرقة، تفيق في يقظات متقطعة لتصرخ، قبل أن تغيب ثانية»[22]، يصور من خلاله شدة العذاب والألم الذي تعانيه على يد (الجان/نائل) خلق وصفا حيا صادما، فساعد الوصف في رسم صورة مرعبة.

لا تهمل بعض المقاطع الوصفية التفاصيل الدقيقة فيهتم بتصوير صغائر الأمور من أجل إيصال الصورة بوضوح للمتلقي وفتح باب التخيل لرسم هذه الصورة في ذهنه بلغة فصحى سهلة بسيطة «الغرفة صغيرة والزمن فيها لا يتحرك، خالية إلا من سرير يرقد فوقه شريف مرخي الأعضاء وطاولة عليها جهاز رسم قلب منحنياته تئن برتابة، بجانب أنبوب محاليل يسقيه الجلوكوز تنقيطا، صوت نفسه بطيء متحشرج وساقه مكبلة في السرير بأصفاد حديدية»[23].

كثيرا ما نجد أن المقاطع الوصفية تتمازج وتتداخل مع المقاطع السردية كما ذكرنا سابقا كالتي جاءت في ثنايا الرحلة الأخيرة من رحلته إلى الماضي فهو يسرد ويصف «بصعوبة قاومت غثياني وقمت، تمشيت للغرفة الجانبية التي دلف إليها عم سيّد، كان مكفيّا على رداء يحيك فيه تفصيلة بإبرة طويلة، اقتربت فأيقنت أنه القميص الأثري، كان جديدا كأنه صنع بالأمس»[24]

عملت كل من لغة الوصف والسرد على خلق جمالية، ومتعة وتشويق، واستطاع الكاتب أن يخلخل خيال المتلقي ويعرج به في عوالم أخرى تمتاز ببساطتها ووضوحها تقترب من الواقع على الرغم من أنها تغوص في عوالم خيالية، تم تطعيمها ببعض الألفاظ العامية المفصحة مثل الكرنيش، الناموسية، تليفون ، الولية ... إلخ ، وإقحام العديد من الألفاظ الأجنبية خاصة ما تعلق بأسماء الخمور.

5/اللغة العامية :كانت اللهجة العامية موظفة من خلال المقاطع الحوارية التي تختلف عن الفصحى في الكثير من مفردتها وتركيبها، كما أنها لا تحتكم إلى قواعد نحوية، هي لغة الأفراد في حياتهم العادية اليومية، من خلالها أتيح لشخصيات أن تعبر عن نفسها بكل حرية، ارتبطت ببيئتها و محيطها، واستعمال العامية في الحوار يدخل في باب تجذير الحكاية في الواقع، كما أنها تحمل أفكار الشخصيات، وقادرة على تعرية مكنون النفس بما يثير الأحداث، كما أن المزج بين الفصحى والعامية يكشف عن التنوع الثقافي والاجتماعي الحاصل وولد نوعا من الألفة والعفوية.

من أمثلة توظيف اللغة العامية في الحوار نجد:

«- ما تقعد يا شريف !!

لم يستجب لندائي..

- شريف !!

نظر لي ثواني ثم أجابني :

- شريف خرج

- نعم !!

- خرج!

- مين اللي خرج ؟

- شريف.

يدا شريف منبسطة بجانبه منفرجة الأصابع ووجهه مسترخ .. ظاهريا هو لا يكذب.

أمر عادي .. فقط هو ينفي وجود نفسه !!

- أمال أنت مين ؟

- صديق

- والصديق ده ليه اسم ؟

- ممكن تناديني ..نائل

- نائل !!»[25]

من خلال هذا المقطع الحواري يحاول الكاتب أن يقنع المتلقي بأن شخصية (شريف) مريضة وفي نفس الوقت يستدل بلغة الجسد لإثبات العكس، فعبر التاريخ كانت راحة اليد المنبسطة المفتوحة مرتبطة بالحقيقة، والصدق والولاء، والخضوع[26]مما يسبب التضارب بين الكذب الصدق، ويبقى (القارئ / المتلقي) حائرا أمام حقيقة هذه الشخصية.

ساهمت تقنية الحوار بإبراز الجانب العدائي لشيطان للإنسان في العديد من المقاطع الحوارية

«مؤمن !! سألني بسخرية ..

و موحد بالله

- أنا كمان موحد بالله ..أكتر منك ..و على فكرة لوني مش أسود زي ما بيرسموني ..

- أنا مش خايف منك

- كدّاب ! تفرق إيه عني ؟ تعمل كل اللي بتعمله وتسميني أنا شيطان .. ده اسم سخيف !

- أنت ضعيف ..

- بتقول الكلام ده و نت بتتحامى في قميص قماش .. مش عارف هو اختاركم على أساس إيه وأنتو بالضعف ده ..

...

- معذورون .. أصله خلقكو في آخر يوم للخلق .. كان تعب خلاص ..

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

- أنت بتضحكني على فكرة .. المفروض أتحرق ؟

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

مد يديه في فمه والتقط ضرسا آخر .. جذبه بقوة حتى خرج بصوت كسر ودماء أغرقت الملاءة

حين قالها انتابتني رعشة، كهرباء مرت فوق جلدي، صرع خفيف، نظرت إليه بعد أن خفتت موجته فوجدته يبتسم ..

- مش ها سيبك تدخل دماغي ..

- أنا أصلا جوه دماغك ...»[27]

يبين هذا المقطع الحواري البغض والغل والحقد الدفين والقديم قدم خلق الله عز وجل لآدم عليه السلام وتفضيل على سائر مخلوقاته بما فيها الجان، فكان الشيطان دائما بالمرصاد له يترصده ويتتبع خطاه من أجل الإيقاع به حسدا من نفسه، يتجول داخل ذاته وفكره محاولا السيطرة عليه بكل الطرق والسبل من خلال قوته وجبروته.

للمفردة الشعبية القدرة على إيصال فكرة المراد تبليغها للمتلقي، فكانت لغة حوارية متلائمة مع الخصائص الاجتماعية والثقافية لشخصيات فهي منبثقة من البيئة الشعبية المصرية لكل شخصية منطوق يميزها عن سواها، مما ولد انسجام قائم بين الشخصية بوصفها علامة سيميائية، ولغتها المناسبة لمستوياتها الفكرية والثقافية على مستوى بناء الرواية

5/ اللغة العلمية:استغل الكاتب في رواية «الفيل الأزرق» كما هائلا من المعلومات العلمية كالطب النفسي والاضطرابات العقلية، لغة الجسد، بشكل كبير يتماشى مع طبيعة الأحداث وطبيعة عمل شخصية (يحيى)، فكانت مدججة بالحجج العلمية، التي استثمرت لإقناع المتلقي بمرض (شريف) أو لتوضيح بعض الأمراض النفسية كالتفريق بين الهلاوس والضلالات «الهلاوس بتيجي سمع رؤية، وممكن حتى شم، إحساس مش حقيق بيخلقه المخ ..تروح أعراضه مع الأدوية، ولو بطل الجرعة ترجع له أعرضها تانيفيفهم المريض ويستوعب إنه مريض، لكن الضلالات أفكار مغروسة، مصدقها و يجادل اللي يعارضه فيها، بتاخذ وقت..»[28].

كتقديمه تعريف علمي لـ حبوب (الفيل الأزرق)، وتقديم معلومات عن الأدوية كالديكابين كوم 500 «دواء لتثبيت المزاج، يستخدم في حالات الصرع والفصام والاكتئاب والاضطراب ثنائي القطب، سيخفف التدهور في السلوك والتفكير مؤقتا»[29]، كما ذكر العديد من أسماء للأمراض النفسية كالازدواج، سيكزوفيرينيا (OCD)...إلخ .

أما لغة الجسد التي لا يمكن تزيفها أبدا بسبب عدم التناغم الذي قد يحدث في هذه الحالة بين الإيماءات الأساسية وإشارات الجسد شديدة الصغر والكلمات المنطوقة[30]، فزاد في متعة الرواية وجذب القارئ لها «تلك الجالسة التي تضع يدها أسفل ذقنها وتميل برأسها، تنصت لهراء الجالس أمامها بشغف وانبهار، إلا أن السفيه يكذب فيما يحكيه، كتفه اليسرى ترتفع لا إراديا كل عشر ثوان لينكر ويستغيث مما يخلقه فص مخه الأيمن المسئول عن طمس الحقائق واستبدالها ببطولات الزائفة...»[31].

6/اللغة الأدبية:الرواية هي عمل أدبي إبداعي جمالي بالدرجة الأولى، اعتنى به الكاتب من خلال توظيفه لمجموعة من الصور البيانية والمجاز وإن كانت من الأساليب اللغوية القديمة عند العرب، إلا أنه بنثره لهذه الصورة البيانية من تشبيهات واستعارات ومجازات التي مال بها إلى الانزياح فزادت من جمالياتها كورود عطره ندية تطلق عطرها الفواح، بدون مبالغة ولا إسراف.

استعانت الرواية بالتشبيه بكثافة باعتباره لون من ألوان التعبير البلاغي هو يدل على وجود علاقة بين طرفين فيكون المشبه مشابها للمشبه به في صفة واضحة.

ففي قوله «تركت شريف مرتخي الأعصاب كمنديل ورقي مستعمل»[32]الأداة المستعملة في التشبيه هي حرف (الكاف)، وأما الهيئة التركيبية التي قصد تشبيهها هي هيئة (شريف) وصورته وهو مسلوب الإرادة، والعجز الذي يعاني منه.

من أمثلة التشبيه التي وظفت في الرواية باعتباره تقنية

* التفت حول نفسي كضرير فقد عصاه[33]

* جبت الغرفة كأسد هرم سقط شعره.. يتحاشى كرباج مروضه ..أسد بلا أسنان ولا براثن يدخن كقطار نهم للفحم[34]،فهذه التشبيهات زادت من وضوح المعنى وتقريبه للمتلقي

في «حواسي الحيوية انسابت تدريجيا من بين ضلوعي، كالمياه تنسل من بين أصابع الكف »[35] يشبه الحواس الشيء المحسوس بالملموس الماء الذي ينسل من بين أصابع الكف ليبين بها حالة فقدانه الشعور والانفعال.

أما في قوله:

* الرسم في السجادة يتلوى كأنه ثعبان[36]

* أنظر لنفسي من فوق ((يحيى))كأني طفل يركب فوق كتفه[37]

* سجادة يدويّة النسيج مرسوم عليها وحدات مكررة من الغزلان والطيور، يطاردهم أسد يشبه أسد أبي زيد الهلالي[38]

هذه التشبيهات تجاوزت أسلوب التشبيه أو المماثلة، ينقل فيها السارد صور الهلوسة التي اعترته.

بإضافة إلى التشبيه استعانت الرواية بالاستعارة التي تتميز بكونها «ديناميكية، وذلك نتيجة للتوتر الذي يتمثل في الخطاب الإستعاري»[39]

* خرجت أجرجر أفكاري[40]

* ركضت ضربات قلبي[41]

* تاهت الكلمات في الهواء[42]

* الكذب بنفسه حين مشي على قدميه [43]

* نفضت عن نفسي الذهول [44]

فهذه الاستعارات أدت وظيفتها في الرواية فكثفت الأثر الجمالي للغة، أكسبت المجردات من الأحاسيس كالكذب والأفكار تجسيد مادي.

بإضافة إلى ذلك قامت بأداء وظيفة أخرى لا تقل جمالية عن الأولى تتمثل في التجسيد البشري للأشياء (الأنسنة أو التشخيص)، من خلال إكساب صفات وأفعال إنسانية على غير الإنسان كقوله

«ضيفي الأسود الكئيب واقفا بين عمودين»[45]فهو يضفي صفة الكآبة والوقوف التي هي من صفات الإنسان على الحيوان.

في قوله «تنافست الديدان في التهام رأسي من الداخل»[46] كناية عن تداخل الأفكار فيما بينها والعجز عن تفسير ما حدث.

كما وضفت الصور الفنية «صمت الشجر بعدما سعلت الرياح واحتضر القمر»[47]،«توقفت الريح وسكن حفيف الشجر ليتنصت علينا»[48] أضفت جمالا ورونقا على الرواية.

في الختام ما يميز اللغة في رواية «**الفيل الأزرق**» عن غيرها، جاءت على العموم لغة بسيطة سهلة واضحة سردا ووصفا وحوارا، قريبة من الواقع على الرغم من كونها تعالج عوالم خيالية توهم بواقعيتها فهي تنطلق من الواقع نحوى المتخيل، وظفت لغة السحر بطريقة فنية مقنعة سارت وطبيعة الأحداث، لغة متعددةانفتحت على عدة خطابات كالتراثي وديني والشعبي فجاءت لغة متنوعة.

في رواية «**الفيل الأزرق**»هناك مزاوجة بين اللغة الفصحى والعامية، لغة متعددة متنوعة تشتمل على لغة عدة أجناس ومجتمعات مختلفة، فالمزج بين الفصحى والعامية يبين التنوع الخطاب الثقافي والاجتماعي فنجد أن صوت السارد الفصيح يتقاطع مع صوت الشخصيات العامية لغة عامية يومية في الحوار ولغة فصحى في السرد والوصف، رسمت حروف اللغة أغرب الأمكنة وأعجبها وأرعب الأحداث،لا تخلو من التشويق والمتعة، بانوراما حقيقية تمتد على حقول معرفية متنوعة من طب وعلم نفس ولغة جسد بدون أن تهمل أدبيتها، استعمالها التعبيرات المجازية من تشبيهات واستعارات وكنايات التي ساهمت بشكل واضح في خلق صور جمالية محطما بها المجازات الجاهزة المهتلكة.

الهوامش:

[1]عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات الكتابة الروائية، دار الغرب، وهران - الجزائر، ب ط، 2005، ص 108

[2]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص،عالم المعرفة، العدد164، ب ط، 1992، الكويت، ص 270.

[3]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المرجع نفسه، ص 272.

[4]أحمد مراد، رواية" الفيل الأزرق"، دار الشروق، ط 12، 2014 ، ص 129

[5]المصدر نفسه، ص 239

[6]المصدر نفسه، ص 251

[7]المصدر نفسه، ص 141

[8] تودوروف تزفيتن،مدخل للأدب العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام، مراجعة محمد برادة، دار الشرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط 1، 1994، ص7

[9]أحمد رشدى صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السنة المحمدية، ط3، 1971، ص 168

[10]الرواية، ص 400

[11]المصدر نفسه، ص ص401،402

[12]المصدر نفسه، ص 408

[13] محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية – السفر الأول، تحقيق وتقديم عثمان يحي، تصدير ومراجعة إبراهيم مركور، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ط 2، ص 260

[14]الرواية، ص 278

[15]المصدر نفسه، ص 347

[16]المصدر نفسه، ص 348

[17]المصدر نفسه، ص 372

[18]عبد المالكمرتاض، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات الكتابة الروائية، مرجع سابق، ص275

[19]لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان ، ط 1، 2002، ص171

[20]شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية،منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية ناشرون، لبنان، ط 1، 2009،ص145

[21]الرواية، ص 304

[22]المصدر نفسه، ص 365

[23]المصدر نفسه ، ص 164

[24]المصدر نفسه، ص 164

[25]المصدر نفسه، ص 114

[26]ينظر: آلان و بربار بييز، المرجع الأكيد في لغة الجسد، مكتبة جرير ، ط 1 ، 2008 ، ص 32

[27]الرواية، ص 415

[28] المصدر نفسه، ص 88

[29] المصدر نفسه، ص 305

[30]ينظر: ألاين وباربارابيير، المرجع الأكيد في لغة الجسد، مرجع سابق، ص 27

[31]الرواية، ص 73

[32]المصدر نفسه، ص 121

[33]المصدر نفسه، ص 216

[34]المصدر نفسه، ص 282

[35]المصدر نفسه، ص 302

[36]المصدر نفسه، ص 193

[37]المصدر نفسه، ص 259

[38] المصدر نفسه، ص 257

[39]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مرجع سابق، ص 146

[40] الرواية، ص 125

[41] المصدر نفسه، ص 216

[42] المصدر نفسه، ص 261

[43] المصدر نفسه ، ص 189

[44] المصدر نفسه، ص 418

[45] المصدر نفسه، ص 350

[46] المصدر نفسه، ص 218

[47] المصدر نفسه، ص 135

[48] المصدر نفسه، ص 386